الفصل الخامس
معالم بارزة
في شخصية الشيخ أحمد ياسين

لكل شخصية معالم خاصة تميزها عن غيرها سواء كانت معالم خلقية أو خلُقية، لدرجة يمكن أن يعد كل شخص عالماً متكاملاً في ذاته متميزاً تمام التمايز عن غيره سواء في الفكر أو السلوك، والشخصيات الزعامية الكارزماتية تتفرد بكل تأكيد بمعالم خاصة تميزها عن غيرها تشكل هذه المعالم عوامل مساعدة على بناء الشخصية الكارزماتية، مثل العقلانية الكبيرة، والأناة مع التؤدة، والصبر على المكاره مع استمرار الايمان بالفكرة، والحزم المحق الذي يظهر في النهاية على أنه مصلحة للجميع، والتفرد بالرأي أحياناً إذ كانت القناعة به كاملة على الرغم من معارضة الجموع خاصة إذا اعتمد ذلك على وجه شرعي، ثم الليونة التي لا تؤدي لكسر العلاقة مع الآخرين، وقد كان الشيخ أحمد ياسين مثالاً يحتذى به في هذه المجالات، وقد جمعت شخصيته معالم فريدة في استيعاب الآخرين وإقناعهم ثم الوقوف بحزم وقت الحاجة فالذين تعرفوا على الشيخ وعملوا معه خرجوا جميعاً بانطباعات متقاربة جداً وحدت مشاعرهم نحوه وهذا في ذاته يعد نجاحاً وتميزاً وقدرة متميزة على الثبات وقوامة السلوك مع الجميع.

فلقد ضربنا مثلين سابقاً عن انطباعات الناس عن شخصيته وسنتناول هنا المزيد فقد وصفه صديق عمره حماد الحسنات بقوله: «عرفت أحمد ياسين في أوائل الستينات وذلك بعد الإصابة بالحالة التي هو فيها هو إنسان هادىء لا ينفعل بسرعة وإذا سألته لا يجيب إلا بعد أن يفكر فترة ثم يجيب بطريقته الهادئة، ولديه طريقة محببة للناس في الإجابة على ما يسأل عنه، ومنذ أن عرفته وهو يعيش للدعوة وكل صلاته ومعارفه حتى أهله لم أعرفهم إلا مؤخراً حيث إن كل صلته وتوجهاته كانت لإخوانه فالعلاقات العائلية التي تسود المجتمع يكاد يكون قد انسلخ منها وكرس نفسه وجهده واهتماماته بهذه الدعوة فكان صورة معبرة عنها أحسن تعبير[1].

وقد قال عنه أحد تلاميذه وهو الأستاذ أحمد بحر: «إننا نفتخر بأستاذنا الشيخ أحمد ياسين، فهو لا شك أستاذ الجيل في فلسطين المحتلة فهو رجل عاصرناه بتقواه وإخلاصه لله سبحانه وتعالى[2].

وقد وصفه أحد المقربين منه وهو أبو ناصر الكجك «هذا الرجل يبعث فينا الأمل، كان يطمئننا أن المستقبل سيكون إن شاءالله تعالى للصابرين الصادقين الذين ينتمون للإسلام، كان رائعاً وفاضلاً، وكان يتعامل مع الجميع سواء كانوا صغاراً أوكباراً، وكان الجميع يتلهفون لقدومه لأنه كان بلسماً شافياً وكان يضع لكل داء دواء وعلاجاته كانت شافية فعلاً»[٣].

ويمكن في هذا المجال كتابة الكثير ولكن ما ذكر يعد كفاية من أناس عاشروا الشيخ وعرفوه عن قرب، إذ ما تعرف إنسان على الشيخ أحمد ياسين إلا وقد خرج بانطباع مماثل فهو رجل لم يختلف على صلاحه وتقواه إثنان إذ وهو في وضعه الصحي لا يمكن أن يطمح إلى زعامة أو قيادة أو منصب قدر طموحه إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى وهذا ربما ما ميزه عن غيره من الأصحاء.

القدوة

كما كان الشيخ أحمد ياسين قدوة في كل حياته إذ ما كان يدعو الآخرين إلى عمل إلا كان سباقاً إليه لأنه يدرك أن الكلام بدون بوتقة تصهره فيصبح فيها عملاً ممتازاً فإنه كلام فارغ وبالتأكيد وهو القاريء لكتاب الله كان يضع في اعتباره الآية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» لذا لم يرد الشيخ إلا أن يكون من هؤلاء الجمع الذين تخاطبهم الآية الكريمة فقد قال عنه الأستاذ أحمد بحر: «هذا الرجل المشلول كان لا ينام، كان قدوة في بذل الجهد والعمل فإذا خرج فإنه يخرج للعمل، وإذا ما جلس فإنه يجلس للعمل، كان بيته مليئاً دائماً بالناس، كان قدوة حقيقية لكثير من الشباب المسلم بل لكل الحركة الإسلامية، كان عندما يعود من عمله إلى بيته يذهب للراحة وتناول الغذاء ولكن دائماً يجد في بيته من ينتظره وربما يؤجل طعام الغذاء حتى ينتهي من تلبية مطالب الناس وعلى الرغم من أن الأطباء كانوا ينصحونه بأن لا يرهق نفسه إلا أنه مع ذلك كان يستمع للناس ويحل مشاكلهم على حساب صحته ووقته[٤].

أما أبو أيمن طه الذي عاشره عن قرب فقد تأثر هو الآخر بشخصية أحمد ياسين ونشاطه وحرصه على أن ينفذ كل ما يستطيع إذ قال «لقد جعلني الشيخ أحمد أخجل من نفسي وأصغر في عين نفسي إذ أنني أحسست على الرغم من مرضه وأنه يتحرك بصعوبة على كرسيه ذي الأربع عجلات إلا أنه نشيط جداً فقلت بيني وبين نفسي إنما نحن الذين مَنَّ الله سبحانه وتعالى علينا بالصحة أولى بأن نتحرك من الشيخ»[٥].

وقد ذكر الشيخ أحمد دلول أن الشيخ أحمد ياسين «كان مريضاً فوق مرضه فأحضرنا له الطبيب الذي قاسم درجة حرارته فكانت ٤٠/٣٩، لذا كنت أضع الكمادات على رأسه (كمادات مياه باردة) فجاء أناس يشكون مسألة فأراد أن يخرج معهم فحاولت أن أثنيه عن عزمه هذا لتوصية الطبيب ولكنه أصر وركب معهم السيارة وقد ظللنا قلقين عليه حتى عاد لقد كان يتحامل على نفسه كثيراً»[٦].

ويقول أبو أيمن طه «أذكر في لقاءاتنا الكثيرة معه كنا نتألم لألمه ولثقل المرض عليه ولكننا وللحقيقة ما شعرنا يوماً من الأيام أنه يتذمر أو أنه يشكو الخالق للمخلوق كما يحدث مع الكثيرين وقت الشدة بل كان يبتسم وكنا نشعر بأنه راض بقضاء الله مفوض الأمر إليه سبحانه وتعالى فقد ضرب لنا المثل في الصبر والتحمل في سبيل الله سبحانه وتعالى وما حدث في يوم من الأيام حسب علمي أن تأخر عن درس أو لقاء بسبب مرضه على الرغم من أنه في كثير من الأحيان كان مرهقاً ومتعباً إلا أنه كان يصبر ويتحمل رغم الألم والمرض»[٧].

وفي واحدة من المرات التي كانت تخرج فيها فرق الأفراح لإحياء الحفلات الإسلامية وكان يخرج معها إلا أنه لمرض ألم به كلف أحد إخوانه للخروج بدله ليلتها إلا أن هذا الشاب كان على ارتباط بموعد خاص فاستأذن الشيخ في عدم الخروج فرد عليه: «إذهب لبيتك وأنا أذهب عنك» ويقول الشاب «في الحقيقة عندما قال لي هذا ذهبت وألغيت المواعيد التي التزمت بها وذهبت تلك الليلة مع الفرقة».

أحمد ياسين كقدوة في الرأي

يقول الدكتور عبد العزيز الرنتيسي إن الشيخ أحمد ياسين عندما تتعامل معه «تجد أنه يملك عقلية فذة، وقدرة على التحليل واستنباط الأمور، ولا يتكلم الكلام إلا بعدتفهم واعي فلا يندفع في الكلام اندفاعاً على الإطلاق ولكنه يتأنى حتى يصل إلى غور الموضوع (صلب الموضوع) الذي يتحدث فيه ويأتي حديثه مركزاً وفي الصواب تماماً» ويضيف د. عبد العزيز بصراحة «كنت دائماً إذا سمعت لرأيه أحسست بخطأ رأيي» والتعامل مع الشيخ أحمد يعطي المتعامل شحنة من حيث لا يدري فربما يصل إليه متكاسل عن العمل فيخرج نشيطاً من عنده أو يصل إليه مهزوماً نفسياً فيخرج بعزيمة وبقوة عجيبة كما يقول د. الرنتيسي[٨].

ويقول الدكتور عبد العزيز الرنتيسي إن لدى الشيخ قدرة على التأثير في الغير عجيبة جداً إذ يأتي المرء أحياناً ولديه مشكلة يعتقد أن حلها مستحيلاً ولكن الشيخ يستطيع بعد مناقشة قصيرة معه أن يجعلها مبسطة وهو في ذلك كله يعتمد على ذكاءه وحسن تقديره وخبرته الطويلة وذاكرته القوية إذ يقول الشيخ عن نفسه وعن الآخرين في هذا الموضوع «إنني لم أكن أنسى مطلقاً وكان إذا حضر أمامي أحد الشباب أكون قد طلبت منه شيئاً أو أمراً ويقول لي إنني نسيت أستغرب كيف ينسى الناس»، وقد قال الشيخ أحمد ياسين في سجنه الأخير بعد فترة المعاناة الطويلة ورحلة العذاب التي لاقاها للدكتور الرنتيسي أما الآن فقد بدأت الذاكرة تضعف وبدأت أنسى.

وقد كان الشيخ دائماً متفائلاً متيقناً دائماً بأن ما يحدث وما سيحدث إنما هو قدر الله تعالى وإن الله تعالى ما دام قدر الأمر فإن على العبد أن لا يسخط لأن الله سبحانه وتعالى لا يقدر إلا الخير أما الشر فإنه يكون دائماً من البشر أنفسهم[٩].

هذا اليقين والاطمئنان إلى الله تعالى حتى في أحلك الظروف يخفف عنه ويجعله مطمئناً وهادئاً مستوثقاً من قدر الله وهذا ينعكس بالتالي على كل من

يعامله ويعايشه.

الشيخ أحمد ياسين كجار

لقد مثل الشيخ أحمد ياسين بشخصه تيار سياسي واجتماعي كامل، ولقد انعكس ذلك على الوضع في المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية إذ أن الصحوة الإسلامية في الأراضي المحتلة بدأت تفرض وجودها في الشارع الفلسطيني في كل نواحي الحياة.

هذا التواجد انتشر وأدى في جزء منه إلى تقوية المجتمع إذ أن القيم التي أدخلها أحمد ياسين وإخوانه في المجتمع بدأت في إعادة ربط الكثير من الخيوط المقطعة وتجديد البالي منها، خاصة وأن هذه القيم هي ذاتها التي بني عليها المجتمع الإسلامي العظيم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقق تقدماً واضحاً في مناحي الحياة جميعها فيما بعد، لدرجة تطورت لكي تصبح أقوى قوة مؤثرة على الساحة السياسية فيما يسمى بالعالم القديم وهي منطقة الشرق الأوسط وامتداداتها الآسيوية والأوروبية.

النجاح الذي حققه الشيخ أحمد ياسين والحركة الإسلامية في المجتمع الفلسطيني أدى إلى وجود حسد اجتماعي من القوى السياسية والاجتماعية المنافسة خاصة وأن هذه القوى اعتقدت أن نجاح الحركة الإسلامية إنما يأتي على حساب هذه القوى وجماهيريتها في الوسط الفلسطيني، لذلك حاولت أن تحتفظ بمقوماتها وتأثيرها بكل الوسائل المتاحة، ولدرجة أدى في مرحلة من المراحل إلى الصدام الحقيقي، إذ أن هذه القوى أدركت أنها لا تستطيع أن تنجح في مقارعة دعوة الإسلام القوية خاصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكد وهذا هو واقع الحال «أنه ما شاد الدين أحد إلا غلبه» والغلبة هنا لها أكثر من بعد فهي غلبة نفسية ومعنوية ومادية، فالدعاوى التي نادت إليها هذه القوى لم ترق إلى الوضوح الذي تملكه الدعوة الإسلامية ولا الدوافع أو حتى الامكانيات.

كان الشيخ أحمد ممن عايش هذا الوضع وأصبح بالطبع إسماً علماً، هذه

الشهرة جعلته بين وضعين متناقضين أناس يريدون التقرب منه وآخرون يرون في شهرته على الرغم من ضعفه وانتمائه الاجتماعي أنه أكبر مما يستحق، أما النوع الثاني فقد ناصب الشيخ العداء سواء كان من الجيران أو حتى من فئات المجتمع الأخرى ولكن الشيخ في تعامله مع هذه الفئة كان يطبق الفهم الإسلامي والقواعد الإسلامية في السلوك الاجتماعي بل كان يرى هذا الصنف من الناس هم الأولى بالرعاية والدعوة الإسلامية خاصة وأنهم لبعدهم عن الدين الإسلامي وقواعد هذا الدين جعلهم يبتعدون عن السلوك والتصور المطلوب لانسجامهم مع التطور الذي أصبح يميل إليه المجتمع في ظل نجاح الدعوة الإسلامية، لذا فقد كان تعامله معهم تعامل الأب أكثر من الجار فلقد صرح أحد جيرانه بأن الشيخ كان صبوراً جداً إذ كانت تلقى الحجارة من قبل أولاد الحارة بتحريض من أهلهم وأحياناً كان يشارك الكبار في ذلك ولكن الشيخ أحمد ما كان حتى يراجعهم مجرد المراجعة سواء في الدوافع أو الأسباب، ولم يكن يتهم أي منهم وكان يقول: «من أراد أن يفعل فليفعل ما يحلو له والله هو المحاسب في النهاية»[١٠].

وقد كان من الطبيعي أن يختلف أولاده مع أولاد الجيران وهذه هي سنة الحياة إذ نادراً ما يوجد في مثل مجتمعاتنا المتشابكة في المكان والمصلحة ومتشابهة في التربية جيران لا يختلفون خاصة فيما يتعلق بالمشاكل التي تترتب عليهم من جراء الأولاد، بل إن أكثر المشاكل التي تتولد بين الجيران هي في الأساس مشاكل تتعلق بالأولاد ولعبهم وتشاجرهم واختلافاتهم.

ولكن الشيخ لم يفتعل أي مشكلة ولم يطور أية مشكلة إلى خلاف، وكان يترك الجيران لضميرهم ويقول أحد جيران الشيخ أحمد الطيبين «لقد سكنت جواره على الرغم من أنني كنت أسمع عنه القبيح والطيب في آن واحد ولكنني أدركت أنه رجل يعرف الله وهؤلاء الناس لا تضيع عندهم الحقوق بل هم أحرص الناس على دفعها وقد تبين لي والحمد لله أنه رجل طيب واسع الصدر، وقد سكنت بجواره أكثر من ١٥ سنة لم أختلف معه ولو لمرة واحدة بل وجدته رجلاً طيباً حريصاً على مشاعر غيره وقد رأيت فيه كذلك حرصاً على الناس إذ كان يحل

مشاكل الناس وكان رجلاً من أهل الخير»[١١١] وقد وصفه جاره هذا بقوله لم أجاور في حياتي رجلاً أفضل من الشيخ أحمد أو أكرم منه سواء له الحق أو عليه كان دائماً يسامح.

لقد جاء سكن الشيخ أحمد في منطقة جورة الشمس بركة على المنطقة إذ كانت منطقة مهجورة لا سكان فيها ولكن وجود المجمع ثم الشيخ أحمد شجع الكثير من إخوانه على الإقبال على الشراء في المنطقة والسكن بالقرب منه وهكذا كان إذ أصبحت المنطقة حالياً مأهولة وذات نشاط وحركة وفاعلية كبيرة وما كان لها أن تصبح كذلك لولا وجود الشيخ أحمد في المنطقة، إذ أن نشاط الشيخ وتكوينه لنادي المجمع في المنطقة جعلها بؤرة للحركة الشبابية الإسلامية مما أضفى على المكان رونق وحركة وحيوية كبيرة.

لقد كان الشيخ أحمد يتعامل مع جيرانه كجار وكداعية وصاحب فكرة إذ أنه اعتقد أن هؤلاء الناس هم أولى الناس بالدعوة إلى الله فهو يدرك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «ظل جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» فإذا كان للجار مكانته هذه في المجتمع الإسلامي أفلا يكون ذلك منهاج حياة لدى الشيخ أحمد الذي كان يعامل الناس من خلال خلق الإسلام ودعوته.

الصبر والأناة

كان الشيخ أحمد نموذجاً للصبر والأناة في التعامل مع الناس ومع الأحداث بشكل ام إذ كان دائماً يعطي للزمن دوراً هاماً في إزالة الخلافات وحل المشاكل وإصلاح النفوس، شريطة ألا يكون عامل الزمن هادماً ومفرقاً.

وقد كان نجاح الداعية أحمد ياسين في إعادة بناء جسم الحركة الإسلامية في القطاع بعد أن عجزت القيادات الأخرى التي لم تجد فرصة لذلك نتيجة للمطاردة والسجن والتعذيب، خير دليل على طول نفسه، إذ أنه على الرغم من عدم قدرته الصحية إلا أنه مع ذلك كرس جهداً كبيراً وقد بنى هذا البناء طوبة طوبة رجلاً إثر رجل.

لقد دعا لدعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ولم يكن فظاً ولا غليظ القلب لأنه أدرك أن هذا خلق مناف لدعوة الإسلام ولأوامر الله سبحانه وتعالى، لقد قطع الشيخ أحمد الطريق على الرغم من طوله ووعورته وتعقيد تضاريسه وعلى الرغم من العوائق التي كانت تنصب له فيه والحفر المغطاة بالرمل التي كان ينصبها أعداء الإسلام أو الحاقدين عليه.

لم يفت في عضده فشل فلقد أدرك أن من يعمل لا بد وأن ينجح ويفشل وأن الفشل هو البوابة التي يتأتى منها النجاح إذا تم استيعاب درس الفشل ولم يكن يوقفه معارض لأنه أدرك أنه لو وقف أمام كل معارض لما استطاع رسول الله أن يبني دعوته وينشر دين الإسلام، لذلك كان واثقاً من أنه هو الصواب وأن غيره الخطأ لأنه إنما يستمد فكره وتخطيطه من القرآن والسنة وهما ما أنزل الله وهدى وما أنزل الله وهدى إليه لا يمكن أن يخطىء.

كان طويل البال مع الناس حتى أولئك الذين تمردوا عليه وأنكروا الجميل الذي قدمه لهم والوقائع في هذا المجال كثيرة وهي وحدها يمكن أن تشكل باباً كبيراً ولما كان القصد شرح سيرة الرجل وحياته وليس مدحه فإن الأحداث ستقتصر على بعض الأمثلة الواضحة التي تفسر العنوان والفرضية فقط وفي هذا المجال يذكر الأستاذ أبو أيمن طه مثالاً فيقول ناقلاً عن أحد الإخوان «كنت جالساً مع الأستاذ أحمد في بداية حياته مع الحركة الإسلامية وكان يومها الجمعة فجاءت مجموعة من الناس ليطلبوا من الأستاذ أحمد أن يخطب الجمعة عندهم فاعتذر الأستاذ أحمد لأنه مرتبط بمسجد آخر، وإذ بحجازي البربار الذي كان من رواد حلقات الشيخ وتلاميذه يقول: يا أستاذ أحمد أكتب لي خطبة أو أملها علي وأنا أقوم بالخطبة وفعلاً أملى عليه خطبة وذهب وألقاها في المسجد ثم دار الأيام فاختلف حجازي مع الشيخ أحمد ياسين وانفرد بعمل إسلامي خاص به وفي أيامها كان الشيخ أحمد ياسين يعطي درساً أسبوعياً في مسجد صلاح الدين بصفة مستمرة وفي هذا الوقت حضر حجازي إلى المسجد وأصبح يمارس فيه نشاطاته الإسلامية وفي إحدى الأمسيات عندما كان الشيخ قادماً لإعطاء الدرس اعترض

حجازي البربار على ذلك أمام الملأوأعلن أن على الشيخ أحمد أن يعرض ما يقول عليه أولا فإذا أجازه سمح به وإذا لم يجزه رفض أن يدرس في المسجد.

أحرج هذا الموقف الشيخ ولكنه تفويتاً على الشيطان من أن يصب زيتاً على نار الفتنة أخبره بالنقاط الرئيسية من الدرس فلم يجد التلميذ السابق أمام وضعه من قبل الشيخ في ركن ضيق إلا أن وافق، وضرب بذلك الشيخ أحمد مثالاً في سعة الصدر والصبر على الآخرين إذ أن حجازي كان يتتلمذ على يدي الشيخ وعندما ذهب الشيخ للمسجد كان معه كثير من أنصاره الذين يريدون الاستماع إليه وكان بإمكانه أن يقلبها على رأس حجازي البربار غماً وحزناً وأن يطرده ربما من المسجد ولكنه ما فعل ذلك وآثر الليونة في التعامل فلقد أدرك أن الاختلاف مع الاسلاميين مهما كان شططهم أخطر على الإسلام والمسلمين من الخلاف مع غيرهم لأن ذلك يصيب الإسلام في مقتل ويجعل من الإسلام عرضة للنقد والتجريح من عامة الناس الذين لا يملكون معايير للقياس أو الوزن بين الغث والخبيث من جهة والصالح والطيب من جهة أخرى وأضاف أبو أيمن مثال آخر أنه شاهد موقفاً اختلف فيه الشيخ مع أحد الناس فقام هذا الرجل بشتم الشيخ، فلم يرد عليه مما أغاظ بعض شباب الحركة الإسلامية من المعتدى وحاولوا أن يعتدوا عليه ويؤدبوه إلا أن الشيخ رفض ذلك رفضاً باتاً وأكد أنه غير راض عن اتخاذ أي إجراء ضده[١٢].

وفي بداية الدعوة عندما كانت تنتشر من مسجد إلى مسجد استعصى مسجد الوحدة الموجود بالشاطيء أمام الشباب المسلم إذ أن خطيب المسجد أبى أن يسمح لهم بالدخول إليه أو إعطاء محاضرات فيه وكان الأستاذ محمد أبو هاني هو الذي يقود هذه المحاولات ولكن وجود عناصر شيوعية كثيرة حول المسجد جعل العملية صعبة إذ كان هؤلاء يؤثرون على خطيب المسجد ثم إن الشباب المسلم اتجه لاستخدام أسلوب العنف مع الإمام ومؤيدوه من الشيوعيين إلا أن الشيخ الذي لم يمنعه ذلك من مواصلة محادثاته ناقش الأمر مع الأستاذ أحد إخوانه وخرجوا بنتيجة مفادها استبعاد أسلوب العنف المتخذ من قبل الشباب

المسلم وضرورة إعلام إمام المسجد بكل صغيرة وكبيرة يريد الشباب المسلم عملها في المسجد وعدم تخطيه وتغير الأستاذ محمد أبو هاني وبدأ التقرب إلى الخطيب والتودد إليه حتى نجحت المحاولة ثم أصبح الرجل متعاوناً جداً وأصبح الشباب المسلم ينطلقون من المسجد ثم أسسوا فيه مكتبة وبدأت الحلقات الدراسية والتعليمية تنتظم فيه وأشرفوا على جمعية تحفيظ القرآن التابعة له ثم تطورت النشاطات في المسجد إلى إفطارات جماعية، مباريات رياضية، رحلات، ثم صيد الأرانب ثم نشاط الفتيات[١٣].

وهكذا لم يؤد فشل المحاولة الأولى إلى اتخاذ قرار سريع بوقف المحاولات ولكن العكس هو الذي حدث إذ أن الفشل في المرة الأولى كان حافزاً لدراسة الأسباب التي أدت إليه وتغييرها بما يتلائم مع الوضع والأشخاص وهذا يتطلب قدراً من الصبر والحكمة في معالجة الأمور بحيث لا يترك التسرع يفوز بالنصيب الأكبر من تفكير الإنسان.

الفطنة والنظرة للمستقبل

حقيقة الأمر هي أن كل من عاشر الشيخ أو عرفه عن قرب يشهد له بالفطنة وبعد النظر وقد ذكر مرة للدكتور عبد العزيز الرنتيسي أنه لا ينسى شيء وأن النيسان أمر لا يعرفه وهذا ما تحدث عنه به الكثير إذ كثيراً ما كان يفاجيء الكثيرون بمعرفته لهم بعد أن كان قد تعرف عليهم للوهلة الأولى منذ سنوات.

كما أن الشيخ كثيراً ما كان يقوم بالأعمال التي يستنكرها عليه الغير إلاّ أنه يسير فيها بحزم لاعتقاده أنها صحيحة كما حدث في إعطاء دروس النساء وتنظيم نشاطهن ثم قرار الدخول في المؤسسات ثم قرار بناء المجمع الإسلامي الذي أصبحت شهرته واسعة جداً فيما بعد إذ عندما اتجه الشيخ إلى منطقة جورة الشمس لبناء مسجد قباء الذي أصبح فيما بعد يسمى بمسجد المجمع وكانت جورة الشمس تقع في أقصى جنوب العمران المعروف من مدينة غزة، عندها حضر بعض إخوانه يلومونه «كيف يا شيخ تبذل المال والجهد في صحراء»

فكان رده عليهم «إصبر وسترى»[١٤].

وفعلاً أصبح المجمع مركزاً للنشاط الإسلامي والرياضي في القطاع على الرغم من مركزه البعيد نسبياً ثم إزداد العمران حول المنطقة وأصبحت المنطقة منطقة سكنية مأهولة.

وعندما اقترح عليه بعض مساعديه في المجمع الإسلامي دعوة بعض الوجهاء للمشاركة في حفل كانوا يعدونه بمناسبة افتتاح مدرسة المجمع أملاً في تعريف هؤلاء بالدعوة لمساعدة مشروع المجمع الناشيء رحب بالفكرة ولكنه قال أن هؤلاء عادة لا يأتوا إلى دعوة مبتدئة وضعيفة لا يوجد فيها من البريق ما يجذبهم وقل أنهم سيأتون فقط عندما يكثر عددكم وتنجح مؤسستكم.

عندما بدأ الحفل لم يأت أحد من المدعوين الكبار ولكن هذا لم يوقف طموح الاسلاميين إذ أنهم أصروا على بذل الجهد وأصبحت الدعوة تنمو يوماً بعد يوم حتى كبرت وأصبحت وفود لكبار تؤم بيت الشيخ أحمد وأصبح يتصل به الوجهاء والسياسيون ورجال الأعمال من مختلف أنحاء العالم.

ولقد كان مشهوداً له بالحزم، ففي مقابلة له مع الحاكم العسكري على إثر أحداث مسجد الإمام الشافعي ابتدأت السلطة توجه له تهديدات فكان رده قوياً فقال للحاكم: ليس للجيش الحق في الدخول أو التدخل في أمور المساجد وعليكم أن تمنعوا جنودكم من الاعتداء على بيوت الله... فالأوقاف أوقاف المسلمين والمساجد لله ولا شأن لكم»[١٥].

وقد كان واضحاً صريحاً في مواقفه ودعوته ولم يكن يواري أو يخبيء أو يخدع بل كان يدفع الشباب المسلم إلى تحمل المزيد من الآلام وينتظر أكثر مما يلاقي فلقد قال مرة «أنه إذ لم يكن الواحد منا مخلصاً لدعوته مستعداً لخدمتها فأحسن له أن يترك من الآن ولا داعي لأن يتعب نفسه»[١٦].

كما أن الشيخ أحمد كان لماحاً وفطناً في التعامل مع إخوانه إذ أنه كان يتكلم عندما ينفع الكلام ويتصرف حين يكون التصرف لازماً ويكون مع ذلك محسوباً ومفيداً فيذكر أحد الأخوة أنه في أحد الاجتماعات التي كانت تعقد في المساء

بدأت النقاشات الجانبية تطغى على حديث المتكلم فقام الشيخ أحمد بحركة لطيفة أعاد الجميع إلى الحالة المطلوبة من الجلسة وذلك أنه أطفىء النور فجأة ومكث لحظة والجميع واجمعون ثم عاد فأشعل الشعلة فضحك الجميع وأدركوا مغزى العمل وعاد الدرس يسير كما كان مرتباً له وشعر الجميع أنه قد أعادهم إلى العمل دون أن يوجه كلمة واحدة[١٧].

لقد شكلت شخصيته مزيجاً غريباً لدى الناس واختلطت الأمور عليهم في بداية معرفتهم به فظن الكثير أن هذا الرجل لا يمكن أن يصل إلى هذا الصيت أو الشهرة إلا لقوة عضلاته وسرعة حركته وذكائه وقدرته على الفتك بالآخرين إذ لم يكونوا يتصورون أن هذا الرجل العاجز مشلول الرجلين واليدين قادر على أن يحرك مجتمعاً كاملاً وشعب بجميع فئاته لذلك عندما بدأت الأحداث والمشاكل بين الاتجاه الإسلامي والاتجاهات الوطنية عام ١٩٨٣م بخصوص الجامعة الإسلامية إدعى كثير من الناس أنهم قد رأوا الشيخ وهو يركب ويسوق سيارة جيب حديثة وسريعة ويحرض الناس على ضرب الوطنيين بالجنازير ويقال أن واحداً من هؤلاء أخذ على الشيخ أحمد ياسين وعندما رآه بهت ولم تسعفه قريحته بشيء عندما رآه ووقع في مطب غير مدروس ولا محسوب.

رأي أحمد ياسين في أحوال الأمة الإسلامية الحاضرة

تحدث الشيخ أحمد ياسين للدكتور عبد العزيز الرنتيسي أن الله يبرم لهذه الأمة أمراً وأن ما يجري الآن هو عبارة عن إرهاصات وهذه الإرهاصات ستؤدي إلى قيام خلافة إسلامية عما قريب ويتوقع زوال الاحتلال الإسرائيلي عن كل الأراضي المحتلة وزوال الدولة اليهودية في غضون أربعين عاماً[١٨] وبالتالي فهو يتوقع قيام دولة الخلافة التي ستحتاج إلى زمن ما لتطوير نفسها تكنولوجياً وعسكرياً وتنظيم صفوفها وصوف الحركات الإسلامي ثم بعد ذلك تبدأ الانطلاقة الإسلامية نحو القدس التي ستكون بإذن الله هينة لا صعوبة فيها وحينها تبدأ الدعوة

الإسلامية في الانتشار والتوسع ويتحقق وعد الله لعباده المؤمنين بالتمكين.

رحلة الحج

قرر الشيخ أحمد أن يؤدي فريضة الحج عام ٧٥/٧٤ فسجل لذلك وسجل معه أربعة من إخوانه بينهم الشيخ حماد الحسنات، كان الشيخ في تلك المرحلة لا زال يسير على رجليه ولكن يمشي متعثراً جداً فكان بحاجة إلى اثنين ليساعدوه من اليمين والشمال حتى لا يقع.

وحسب إخوانه أنها ستكون رحلة متعبة مع الشيخ خاصة مع الازدحام الذي يشوب مواسم الحج إذ يتدافع الملايين في الطواف أو في منى أو مزدلفة أو غيرها من مشاعر الحج وأين يمكن للأصحاء أن يستطيعوا السير وحدهم فما بالك بالضعفاء والمعوقين من أمثال الشيخ ولكن يقول الشيخ حماد الآتي «كان ذلك العام بداية الازدحام في مواسم الحج فقررت الحكومة السعودية أنه يجب على الحجاج أن لا يبيتون في منى ليلة عرفة كما هي السنة وإنما يبيتوا في عرفة بسبب الازدحام، فأوقفت الشرطة لتنفيذ ذلك ولكي تجعل الناس يستمرون في سيرهم ولا ينزلون إلى منى، فعندما وصلت سيارتنا ونحن نريد أن ننزل إلى منى فمنعنا من ذلك فذهب الأخ أحمد من أخوين يقودانه إلى الضباط ليشرحوا له وضع الشيخ الصحي وعدم قدرته على التنقل فسمح لسيارتنا فقط أن تنزل إلى منى دون السيارات كلها، ولو لم يكن الشيخ معنا لما استطعنا البيات بمنى ولما استطعنا تطبيق السنة دون غيرها».

وعندما وصلنا إلى منى ووصلنا إلى الخيمة التي أعدت لنا لم يسمح لنا بالوقوف عندها لأنه ممنوع وقوف السيارات جميعاً وعلى السيارات أن تسير حسب النظام فذهبنا بالأخ أحمد إلى الضابط المسؤول وسمح لنا فقط بأن نقف في المكان الذي نريد فجميعنا اعتبر هذا التوفيق من بركات الشيخ»[١٩].

مراجع الفصل الخامس

(١) أوراق الأستاذ حماد الحسنات، سابقة الذكر.
(٢) مقابلة مع الأستاذ أحمد بحر ١٩٩٠/٧/٢٩م.
(٣) مقابلة مع أبو ناصر الكجك ١٩٩٠/٧/٢٦م.
(٤) مقابلة مع الأستاذ أحمد بحر السابقة الذكر.
(٥) مقابلة الأستاذ محمد صالح طه (أبي أيمن) السابقة الذكر.
(٦) مقابلة مع الأستاذ أحمد دلول ١٩٩٠/٨/١٢م.
(٧) مقابلة الأستاذ محمد طه السابقة الذكر.
(٨) مقابلة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي ١٩٩٠/١٠/١٧م.
(٩) المقابلة السابقة.
(١٠) مقابلة مع أحد جيران الشيخ رفض ذكر اسمه يوم ١٩٩٠/٨/١٢م.
(١١) المقابلة السابقة.
(١٢) مقابلة الأستاذ محمد صالح طه السالفة الذكر.
(١٣) مقابلة الأستاذ داود أبو خاطر السالفة الذكر.
(١٤) أحمد بن يوسف، المرجع السابق ذكره ص٤٥.
(١٥) المرجع السابق ص٤٦.
(١٦) المرجع السابق ص٤٦.
(١٧) أوراق الأستاذ حماد الحسنات السالفة الذكر.
(١٨) مقابلة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي سبق ذكرها.
(١٩) أوراق حماد الحسنات، مرجع سبق ذكره، يلاحظ أن حالة الشيخ الصحية هي التي كانت تضع المسؤولين بالسماح لهم بمخالفة النظام لأن حالة الشيخ أحمد شكلت شذوذ عن القواعد الصحية المتعارف عليها في الحج فاحتاج ذلك إلى مخالفة للقواعد لتوفير سبيل الراحة له ولأمثاله.